طرق تعليمية علوم البلاغة العربية وأثرها في المهارات اللغوية للمتعلم
بين الواقع والمأمول

د/ عبد اللطيف حني
جامعة الشاذلي بن جديد–الطارف (الجزائر)

ملخص :

تسعى هذه الدراسة إلى التطرق لتعليمية البلاغة العربية لمتعلمي اللغة العربية باعتبارها مادة تصاحب الطالب في مساره البيداغوجي سواء دراسة علومها أو توظيفها لمقاربة النصوص وإنتاجها، وذلك بتفحص طريقة تدريسها التي قد توصف في بعض الأحيان بالنمطية والتقيد بالقوالب الجاهزة، ومحاولة مواكبة الآليات الحديثة والتقنيات التعليمية التي تقترح بما يسمى البلاغة الجديدة التي تعرف بالبلاغة الإنتاجية التي تمكن الطالب من ممارسة وإنتاج.

Abstract:

Seek intervention to address the educational rhetoric of Arabic language learners of Arabic as a substance associated with the student on track pedagogical both study sciences or employ them to approach texts, production, and it scans the method of teaching which has been touted in some cases, modular and compliance templates ready, and try to keep up with modern mechanisms and techniques of educational offer a so-called rhetoric that defines the new rhetoric of productivity that enables the student to practice and production.

أولا– مقدمة:

تسعى المؤسسات التعليمية بمختلف أطوارها في الجزائر إلى تطوير الممارسة التعليمية من خلال تحديث طرق التدريس والوسائل والتقويم، وقد حظيت معاهد اللغة العربية بهذا السبق خاصة بتطبيق نظامLMD الذي يهدف إلى التماشي مع الحاجات العلمية والعملية للطالب والتطورات الاقتصادية العالمية، وتكوين الطالب تكوينا يحقق الكفاءة والإبداع والتواصل وذلك بالاعتماد على علم اللسانيات التطبيقية وعلم التربية والمناهج والنفس التي تأخذ بالتقنيات الحديثة في تدريس علوم اللغة العربية (النصوص، النحو، البلاغة) .

وتأسيسا على ما سبق تهدف هذه الدراسة إلى التطرق لتعليمية البلاغة العربية في معاهد اللغة العربية بالجامعات الجزائرية باعتبارها مادة تصاحب الطالب في مساره البيداغوجي سواء دراسة

علومها أو توظيفها لمقاربة النصوص وإنتاجها، وذلك بتفحص طريقة تدريسها التي قد توصف في بعض الأحيان بالنمطية والتقيد بالقوالب الجاهزة، ومحاولة مواكبة الآليات الحديثة والتقنيات التعليمية التي تقترح بما يسمى البلاغة الجديدة Nouvelle Rhétorique التي تعرف عند الديداكتيين الانجليز بالبلاغة الإنتاجية Rhétorique de la productivité التي تمكن الطالب من تمرس وتذوق فنون البيان وتفعيله تفعيلا دامجا Activate incorporating، بوصفها أحد مرتكزات فكره النقدي وحسه الأدبي، وإتقان فن الهندسة البلاغيةIngénierie rhétorique ، ومن ثم إنتاج نصوص أدبية محكمة في معمارها، بليغة في أساليبها وتعابيرها، غنية في معانيها، وبذلك تحقيق الكفاءة التوصيلية connectivité efficace التي تهدف إليها العملية التكوينية في معاهدنا.

كما تروم الدراسة التطرق إلى إنتاج المعنى La production de sens والتفسير عند الطالب وتوظيفه وتحليله في البلاغة الجديدة Nouvelle Rhétorique (التي تنظر للبلاغة أنها ظاهرة، ومكون، وعلم) خاصة عند التعامل مع نصوص معاصرة تعتمد على المفارقة والانزياح والتأويل والاستعارات الحجاجية وسيميائية البيان وغيرها من الأدوات الأسلوبية، ونسعى إلى طرح اقتراحات تحديث تدريس المفاهيم البلاغية وترسيخ البعد الوظيفي La dimension fonctionnelle في تعليمها باستغلال الوسائل البيداغوجية الحديثة التي تضعها منظومتنا الجامعية.

وهذا استجابة للتطورات التي تشهدها المنظومة التربوية العالمية التي ظلت تسعى وراء تحسين الآداء التعليمي للأساتذة بالنظر إلى طبيعة المادة المقدمة، للوصول للغاية المنشودة وهي التكوين المعتمد على الآليات الحديثة والممارسات المدروسة .

ثانيا–حفريات الدرس البلاغي في التراث العربي: ضبط البلاغيون العرب حدود الدرس البلاغي واجتهدوا في ضبط مصطلحاته ووضع أسسه ومفاهيمه ويظهر ذلك من خلال تعريفهم للفصاحة والبلاغة وفق ما جاء في تراثنا، حيث جاء في لسان العرب أن «الفصاحة: البيان؛ فَصُحَ الرجل فصاحة، فهو فصيح من قوم فصحاء وفصاح وفصح ... وامرأة فصيحة من نسوة فصاح وفصائح . تقول : رجل فصيح وكلام فصيح؛ أي بليغ، ولسان فصيح أي طلق. وأفصح الرجل القول ... وفصح الرجل وتفصح إذا كان عربي اللسان فازداد فصاحة...وتفاصح: تكلف الفصاحة... والتفصح استعمال الفصاحة...فالفصيح (من الحيوان) كل ناطق، والأعجم كل ما لا ينطق ...والفصيح في كلام العامة المعرب»(1) كما تطلق على اليوم، فيقال : يوم مفصح، أي لا غيم فيه ولا برد(2).

من خلال مفهوم ابن منظور للفصاحة نستنتج أنها تصب في عدد من المعاني، وكلها تعني الإيضاح، «ففصاحة اللسان تعني قدرته على إبانة المعاني وإيضاحها؛ وفصاحة اللبن تعني زوال اللبأ أو الرغوة عنه؛ وفصاحة النهار تعني صفاءه، وكذلك فصاحة البول...من هنا نكاد نقول إن الدلالة المادية لمعنى الفصاحة هي التي كانت أسبق إلى الشيوع، تلتها الدلالة المعنوية»(3).

كما يوضح ابن الأثير الفصاحة بقوله : «اللفظ الفصيح هو الظاهر البين»(4) ويبين في موضع آخر:«إن الكلام الفصيح هو الظاهر البين، وأعني بالظاهر البين أن تكون ألفاظه مفهومة لا يحتاج في فهمها إلى استخراج من كتب اللغة ... وإنما كانت مألوفة الاستعمال بين أرباب النظم والنثر دائرة في كلامهم، وإنما كانت مألوفة الاستعمال دائرة في الكلام دون غيرها من الألفاظ لمكان حسنها...فالفصيح إذا من الألفاظ هو الحسن»(5) ويؤكد يقوله «ثبت أن الفصيح من الألفاظ هو الظاهر البين، وإنما كان ظاهرا بينا لأنه مألوف الاستعمال لمكان حسنه، وحسنه مدرك بالسمع، والذي يدرك بالسمع إنما هو اللفظ»(6) مضيفا إليه حسن المعنى.

ويبين الجاحظ حدود الفصاحة بقوله : « وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله. فإذا كان المعنى شريفا، واللفظ بليغا، وكان صحيح الطبع، بعيدا من الاستكراه، ومنزها عن الاختلال، مصونا عن التكلف: صنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة. ومتى فصلت الكلمة عن هذه الشريطة: ونفذت من قائلها على هذه الصفة، أصحبها الله من التوفيق، ومنحها من التأييد ما لا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلة»(7) وبذلك يكون الجاحظ قد أشار إلى شرط في الكلام الحسن وهو الإيجاز والوضوح، وشرف المعنى واللفظ وكذلك البعد عن التكلف والاختلال، ويحدد الجرجاني معنى حسن الكلام بقوله : «ومن المعلوم أن لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجري مجراها...غير وصف الكلام بحسن الدلالة، وتمامها فيما له كانت دلالة، ثم تبرجها في صورة هي أبهى وأزين، وآنق وأعجب، وأحق بأن تستولي على هوى النفس، وتنال الحظ الأوفر من ميل القلوب ...ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن تؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ويختار له اللفظ الذي هو أخص به، وأكشف عنه وأتم له، وأحرى بأن يكسبه نبلا ويظهر فيه مزية»(8) وهذا إشارة إلى حسن الدلالة في الكلام يستميل القلوب وتأنس به الأنفس ويرتقى بالمعنى إلى أعلى درجات الفصاحة.

ويذهب أبو هلال العسكري إلى ربط الفصاحة بالإيضاح والإبانة في قوله: «فأما الفصاحة فقد قال قوم إنها من قولهم أفصح فلان عما في نفسه إذا أظهر، والشاهد على أنها هي الإظهار قول العرب: أفصح الصبح إذا أضاء، وأفصح اللبن إذا انجلت عنه الرغوة فظهر وفصح أيضا، وأفصح الأعجمي إذا أبان بعد أن لم يكن يفصح ويبين، وفصح اللحان إذا عبر عما في نفسه وأظهره على جهة الصواب دون خطأ وهي تمام آلة البيان»(9).

أمـا البلاغـة لغـة فهـي الوصـول والانتهـاء، يقـول ابـن منظـور: «بلـغ الشـيء ...وصـل وانتهى...وتبلـغ بالشـيء: وصـل إلى مراده...والبلاغـة: الكفايـة»(10) ويقـول أيضـا: «والبلاغـة الفصاحة ...ورجل بليغ وبلغ وبلغ: حسن الكلام فصيحه يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه والجمع بلغاء، وقد بلغ بالضم، بلاغة أي صار بليغا»(11).

وعلى أساس التعريف السابق نستنتج أن للبلاغة علاقة بالفصاحة، وأنها تكون في العبارة التي تحسن الإبلاغ والإيصال، وهي ليست في الكلمة المفردة.

كما أن البلاغة أو الدراسات البلاغية لها دلالتان«إحداهما القدرة الخاصة على التعبير، حيث يصوغ الشاعر أو الناثر كلامه مشتملا على قيم وعناصر فنية يسمو بها على مستوى الكلام الجاري بين عامة الناس»(12) ومن خلال ما سبق تفصيله في التعريف بالفصاحة والبلاغة يمكننا أن نرصد جملة من الملاحظات أهمها:

– يقصد بالبلاغة في تراثنا النقدي صفة الكلام أو المتكلم أي المستوى الأدبي، وهي كل القواعد والآليات التي شكلت علم البلاغة والتي تعرف بالمستوى التعليمي فهذه القواعد بإتباعها واحترامها تحقق في لدى مستعملها صفة البلاغة.

– إن مبدأ الفصاحة عند العرب ارتبط «أساسا بالموقع الذي تكون فيه هذه اللفظة. أي أنها ترتبط بالسياق والمعنى، وتفترض لها ميزة التلاؤم الصوتي»(13).

– إن الفصاحة جزء لا يتجزأ من البلاغة ولابد من الاعتبار بالسياق لتحديد غرابة وملائمة أي لفظة «أما الشروط الأخرى الباقية ومنها القياس الصرفي فهي شروط صوتية هدفها المحافظة على النطق السليم»(14)، وهذا يتفق مع ما ذهب إليه الجرجاني في أن فصاحة اللفظة تكون في حسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها، حيث يقول :«فقد اتضح اتضاحا لا يدع للشك مجالا أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجرد ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ.

ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر»[15].

– يظهر أن هناك فرق لدى الباحثين بين البلاغة وعلم البلاغة، فقد تعرضنا لتعريف ومفهوم البلاغة التي تتلخص في ضمان التوصيل، وهو أساس الوظيفة اللغوية، أما علم البلاغة فهو مختلف الآليات التي يكتسبها المتكلم لبلوغ مراده في شكل أدبي، وبالرغم من ارتباط البلاغة وعلم البلاغة لأنها ينبعان من مشكاة واحد وكلاهما يحقق هدفا موحدا، غير أن المفهوم الأول ارتبط بالبعد الوظيفي للغة والثاني ارتبط بالبعد التعليمي الذي اهتم به المنظر التربوي أي تعليم علوم البلاغة وتلقين أبواب الفصاحة واكتساب مهارة توظيفها في مختلف الأشكال الأدبية.

أفاد علم البلاغة في نشأته من عدة عوامل وإسهامات منها جهود اللغويين والنحاة والنقاد والمتكلمين والأصوليين، وأبرزهم عبد القاهر الجرجاني مؤسس هذا العلم بشكله النهائي في القرن السادس ، فقد أرسى أسسه ووضع حدوده وضبط مفاهيمه بصفته لغويا وناقدا وباحثا في الإعجاز والأصول يؤكد المؤرخون أن نشأت البلاغة كانت على يد المتكلمين فهم «أبعد أثرا وأرفع صوتا في تكوين مصطلحاتها خاصة المعتزلة »[16] وهذا يحيلنا إلى علاقة البلاغة بعلم الأصول والتفكير والجدل وأنها ضرب لا ينفصل عنهم فهي تحتكم إلى أصولهم وقواعدهم ويجعلنا نقول أنها وضعت لتعينهم على فهم الكثير من المسائل والخوض في العديد من القضايا ويظهر ذلك في أن أول من اهتم بهذا العلم ووضع مصطلحاته ودراساتها هو النظام(221هـ) وتلميذه الجاحظ(255هـ) وبشر بن المعتمر.

لعل نشأة البلاغة إلى جانب النقد الأدبي جعلهما متداخلين ومتعالقين وأكد العلاقة بينهما، ولمحاولة الفصل بينهما يرى محمد زغلول سلام أن البلاغة علم تعليمي والنقد وصفي[17] وأما علم البلاغة اكتسب علميته من وصفيته، فمجاله تحليل النص ودراسته والتميز ما هو إلا صورة من صور التشكل والتغير الذي آلت إليه البلاغة والعروض «ولولا هذا التطور وانفصال البلاغة عن النقد لما ظهر هذا الفرق بهذا الشكل فقد تحول إلى مادة نظرية ذات جدوى عملية في محاولة إدراك جماليات الخطاب»[18] وبذلك تكون البلاغة تهدف إلى وظيفة تعليمية، لتشكل لنا هدفين الأول اكتساب المتلقي للعلم وآلياته ووسائل تحسين أسلوبه وطريقة خطابه الأدبي المتبطن بالجمالية البلاغية، والثاني بمهارة توظيف هذه الآليات واستعمالها في دراسة النص وبالتالي لا تنفصل عن النقد لأنها في قلب العملية النقدية إلا بتركها المنهج النقدي أو الفلسفي العام الذي لا يتجرد منه النقد في إجراءاته.

ثالثا–الطريقة النمطية في تعليمية البلاغة العربية: عندما نفتش في موروثنا التعليمي للبلاغة العربية لا يمكنا أن نتجاوز علما كان له الدور الرائد المبكر في تنظيم المعرفة البلاغية وسن قوانينها ونظمها العامة ألا وهو أبو هلال العسكري(395هـ)، وهذا ما يقر به في مقدمة كتابه الصناعتين أن « أن أحق العلوم بالتعلم، وأولاها بالتحفظ، بعد المعرفة بالله جل ثناؤه علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى»[19] لينتقل بعدها إلى الأسس التي ارتكز عليها عمله، إذ يرى أن أكبر كتب البلاغة هو البيان والتبيين للجاحظ غير «أن الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان الفصاحة، مبثوثة في تضاعيفه ومنتشرة في أثنائه...فرأيت أن أعمل كتابي هذا مشتملا على جميع ما يحتاج إليه في صنعة الكلام»[20].

من خلال هذه العبارة الطريفة والالتفاتة اللطيفة يتبين لنا أن العسكري يؤسس لعلم البلاغة حيث يتطرق لمصادره الأساسية وعيوبها، ويفصح عن أهميته ومجالات توظيفه، كما أن عبارته رسمت معالم منهجه فهو تجميعي وتبسيطي أي تعليمي في أساسه، وبذلك يمم نحو ضبط آليات هذا العلم وحدوده والتطرق بالتعريف للأنواع البلاغية موظفا المنطق والتنظيم والتفريع موزعا هذه المعارف على فصول ومباحث مدرجا تحت كل مبحث موضوعا أو نوعا معينا، حيث يبدأ بوضع تعريف للفن البلاغي المقصود، ثم يتطرق لفروعه أو قواعد وضعه، ليورد الأمثلة والشواهد لمختلف الحالات المتعددة، وعلى هذا المنوال والمنهج وضع الكتاب وهو صورة مكتملة لما جاء من الكتب بعد عبد القاهر، حيث يسميه إحسان عباس بالكتاب المدرسي[21].

ليأتي عبد القاهر الجرجاني (471هـ) الذي ترك أثرا بينا في وضع علم البلاغة، راسما طريقا كاملا متكاملا أنتهجه من جاء بعده، معززا درسه البلاغي بكثرة شواهده الشعرية والنثرية معززا ذلك بذوقه الرفيع، إلا الذين جاءوا بعد خففوا منها واكتفوا بالتعريف والتقسيمات والتأويلات فتجردت النظريات من روح الأدب، وأهم المنصفات التي جاء بعده :

– نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للفخر الرازي (606هـ) الذي لم يتجاوز تبويب وترتيب الجرجاني، ونذكر السكاكي الذي نجح فيما أخفق فيه الرازي فجعل كتابه مفتاح العلوم «كتابا تعليميا يحتكم إلى منهجية مضبوطة مقسمة إلى أبواب موردا التعريفات والشواهد لصياغة قواعد جافة»[22]، وبذلك يستقر علم البلاغة عند السكاكي بمباحثه الثلاثة المعاني والبيان والبديع.

أما باقي الأعمال التي تلت مفتاح العلوم كانت عبارة عن تلخيصات وتعليقات وشروح للمفتاح وهي كثيرة، وأبرزها مصنف الخطيب القزويني (666هـ) المتمثل في شرحين شهرين وهما التلخيص والإيضاح، كما ظهر إلى جانب هذه الأعمال أسلوب البديعيات وهي منظومات شعرية

موضوعها مدح الرسول ص ومضمونها مؤلف في علوم البديع وهي مشابهة لكتب سابقة عرفت وبينت علم البديع ككتاب البديع لابن المعتز(18 نوعا) وقدامة(31نوعا) والعسكري وابن رشيق (36نوعا)[23] وغيرها من المؤلفات وأشهرها على الإطلاق بديعية ابن الحموي(837هـ) وضمت (142نوعا)

إن منهج السكاكي الذي مر بنا في المفتاح لا يختلف عن منهج العسكري فقد تابع من جاء بعدهم السير عليه بالرغم من أنه «يبتعد عن روح النصوص والتحليل الجمالي، وركّز على الطابع الذهني التجريدي والمنطقي»[24] وذلك بإتباع الطريقة التالية :

أ-التطرق للفن البلاغي الاستعارة مثلا وذلك بالتعريف بها والتفصيل في مفاهيمها وحدودها اللغوية والاصطلاحية (تشبيه حذف أحد طرفيه علي سبيل المجاز تبسم الصبح).

ب-التطرق لأقسامها: استعارة تصريحية حيث حذف فيها المشبه وصرح بالمشبه به مع إيراد الأمثلة والشواهد النثرية والشعرية، واستعارة مكنية؛ وهي التي حذف فيها المشبه به وأبقى على احد لوازمه للدلالة عليه.

رابعا-تعليمية البلاغة الجديدة أو الإنتاجية(إنتاج المعنى PRODUCTION DE SENS):

بالنظر إلى ما عرضناه من تاريخ تعليمية البلاغة العربية في تراثنا وما كانت تعانيه من نمطية امتدت مناهجها وطرقها وحدود تعليمها إلى مناهجنا التعليمية في مختلف أطوار التعليم، ووجب علينا أن نراجع هذه المناهج والنظر إليها بعين المتفحص المراجع والمحاول المجدد، وهذا لعدم تحقيق نتائج مرجوة أو لأن ناشئتنا لم تستوعب هذه المناهج، فهي تدرس علم البلاغة من أجل توظيفه في مقاربة النصوص وفهمها، ولا يتوقف الأمر عند هذا بل عليه أن ينتج نصوص تحترم تلك القواعد البلاغية.

وعليه رصدت عدة محاولات لتحديث الدرس البلاغي منذ مطلع القرن العشرين، فقد تبنى هذه المحاولة محمد عبده، حيث سعى إلى التجديد والاجتهاد فوق ما توصل إليه السكاكي الذي نحا بالبلاغة إلى رياضة عقلية، فراح يقدم دروسه في الأزهر[25]، كما نجد جهود عبد العزيز البشري وأمين الخولي، الذين اجتهدوا في تحديث الدرس البلاغي من خلال ابتكار طرق منهجية للخروج من النمطية القديمة واقتراح طرق تتماشى مع روح العصر وتطلب روح الأدب، وقد ظهرت بعض الأعمال التي اجتهدت في عرض المادة القديمة مع الالتزام لمنهجها ومضمونها وشواهدها خاصة كتاب البلاغة الواضحة لعلي الجارم.

رغم من تطور المناهج وطرق التدريس واستحداث مقاربات جديدة تعتمد على البعد الوظيفي المقرر في الوثائق الرسمية والممنوحة للأساتذة للاستئناس بها، إلا أن الدرس البلاغي القديم بقي يمارس سلطته في دور التعليم ولم يتخلص من نمطية معهودة مكرسة، وإن اختلفت الواجهة أو الملامح فالمضمون النمطي حاضر مشخصا في هذه الطرق الموظفة حاليا في قاعات جامعتنا شكلا ومضمونا وممارسة خاصة في معاهد اللغة العربية وآدابها، إذ مازال الأستاذ يتبع الطريق نفسها التعريف بالفن البلاغي وأقسامه ثم الأمثلة واستنتاج القاعدة وإعطاء تطبيقات جافة، تعتمد على التكرار وتكرار المعهود دون إنارة الجوانب التذوقية والإبداعية لدى الطالب وكشف شخصية المبدع فيه من خلال دفعه إلى إنتاج المعاني البلاغي والإقتداء بالفنون البلاغية المدروسة(26)، وتزيد المشكلة تفاقما لارتباط الدرس البلاغي في معاهدنا بمقاربة النصوص الأدبية وتفحصها ونقدها، إذ من الوسائل والآليات التي لابد أن يمتلكها الطالب العدة البلاغية فلها وظيفة مهمة لا غنى عنها أبدا في منظومة النقد ومفاهيمه

فالطالب لا يمارس البلاغة بل يلقن البلاغة، فسرعان ما ينقضي ويزول أثر هذا التلقين إذا أراد ممارسة العملية النقدية، لذلك تطرح منهجية حديثة في تدريس البلاغة تسمى بالبلاغة الجديدة Nouvelle Rhétorique التي تعرف عند الديداكتيين بالبلاغة الإنتاجية Rhétorique de la productivité التي تمكن الطالب من تمرس وتذوق فنون البيان وتفعيله تفعيلا دامجا Activate incorporating، بوصفها أحد مرتكزات فكره النقدي وحسه الأدبي، وإتقان فن الهندسة البلاغيةIngénierie rhétorique ، ومن ثم إنتاج نصوص أدبية محكمة في معمارها، بليغة في أساليبها وتعابيرها، غنية في معانيها، وبذلك تحقيق الكفاءة التوصيلية efficace connectivité التي تهدف إليها العملية التكوينية في معاهدنا.

والدرس البلاغي الجديد يدفع المتعلم إلى إنتاج المعاني البلاغية اعتمادا على ما درسه، ويتفادى التلقين والتحفيظ ويأخذ بيد الطالب إلى التعرف على الفن البلاغي في نصوصه الأصلية شعرية كانت أو نثرية ثم مطالبته إنتاج جمل على غرار ما أخذ تتضمن الفن البلاغي المدروس، كمرحله أولى وإذا تمت بناجح نطالب المتعلم بإنشاء فقرات تتضمن الفن البلاغين وهذا يؤهلنا إلى تحقيق عدة أهداف نذكر منها:

1-التعرف على الفن البلاغي المقصود دراسته

2-تذوق هذا الفن من خلال شواهد شعرية أو نثرية.

3-إنتاج جمل تتضمن الفن البلاغي إضافة إلى تعزيز القدرات النحوية والصرفية ومن ثم تحسين التعبير وتفعيل الآليات الأسلوبية لإنتاج جملة مفيدة وصحيحة ومعبرة وبليغة.

4-التمكن من هندسة فقرة متضمنة الفن البلاغي (الاستعارة الكناية التشبيه مثلا) وبذلك تنمية ملكة الإبداع الخلاق الممتع.

5-تعزيز الكفاءة التوصيلية لدى الطالب بواسطة اللغة العربية التي افتقر إليها عن طريق ضروب الفنون البلاغة بجميع علومها.

ويمكننا تلخيص ما ترمي إليه البلاغة الجديدة في هذه الخطاطة:

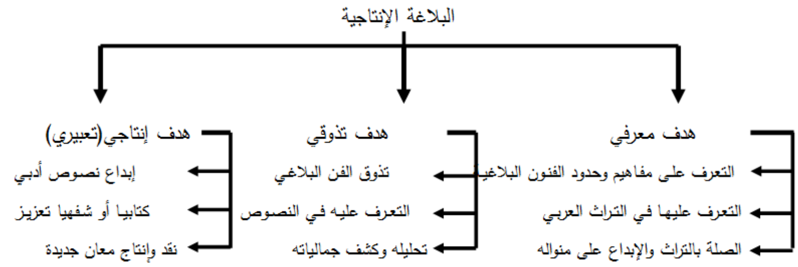

باستطاعتنا القول أن هذا النمط من التعليم يوجه الطالب إلى الاهتمام للدرس البلاغي ويتمتع بفنونه ويلقى عند القبول والترحاب ويتشوق لمعرفة المزيد عنه، بل يدفعه إلى المطالعة واستكشاف هذه الفنون وجمالية توظيفها ومن ثم تقليدها ومحاولة ابتكار نصوص مقاربة لها، كما تساعد تدريجيا على تنمية الحس النقدي الواجب توفره عند طالب الأدب العربي الذي يبرزه ويبرهن عنه في مذكرة التخرج، فيستطيع تطبيق مختلف المناهج التي لا تستغني عن الجانب البلاغي في مقارباتها للنصوص الأدبية.

خامسا-مقترحات تحديث تعليمية البلاغة في ظل البلاغة الجديدة: تسعى المناهج التربوية والتعليمية إلى الارتقاء بالدرس البلاغي، لقيمة هذه المادة وشديد الحاجة إليها في تكوين الشخصية الأدبية والنقدية للطالب، لذلك يجب التطرق لتحديث المقاربة التعليمية، ومحاولة ترسيخ البعد الوظيفي والإنتاجي في تعليمية البلاغة، والبعد عن التلقين الممل الذي لا ينتج لنا العقم في التجاوب مع النصوص، ولا يؤهل الطالب للتحليل أو التفسير أو الإبداع في ظل تطور المناهج النقدية والأساليب المختلفة التي أصبحت تستعين بعلوم تجريبية أخرى للغوص في عالم الخطاب الأدبي وكذلك تطور بنية النص في عالم المعاصرة واستعانته بجماليات مختلفة منبثقة عن فنون البلاغة العربية، فالتجارب لم تتوقف فالجزائر على غرار البلدان العربية حاولت جاهدة التجديد في

مناهجها التعليمية للارتقاء بأنجع الطرق وتحصيل مردود أحسن، على غرار التطور الحاصل في طرق التربية والتعليم، كل ذلك سيسمح لنا بوضع اقتراحات إجرائية للبلاغة التعليمية أهمها:

– وضع الدرس البلاغي لمقاربة النصوص وإنتاجها وارتبط بفصاحة الكلام وتقويمه في التراث العربي كما وضحنا سابقا، فيجب الاعتبار بهذا الأساس.

– يجب دمج الممارسة النقدية بالقضايا البلاغية، وفتح المجال لكشفها بواسطة تفعيل عامل التذوق وتشجيعه لدى المتعلم.

– عدم اقتصار المنظومة التعليمية على النصوص التراثية القديمة، وتدريس الفنون البلاغية في إطارها، فهي تحصر المتعلم في نمطية معينة، بل يجب التطبيق على الأدب الحديث والعناصر الذي يعرف تطورا مذهلا في فنونه وآلياته التعبيرية حيث واكب الآداب العالمية، التي لا تهتم بالفنون البلاغية القديمة، وأضحى النص المعاصر يوظف هذه الفنون في قوالب متطورة ومستنسخة عن القديمة محاولة منه الفرار من المعهود والقديم والنمطي والجنوح إلى الجمال المطلق.

– إكساب المتعلم مهارة القراءة والفهم والتأويل واستقراء ما يقصد من وراء الآداءات اللغوي وغير اللغوية، باستخدام الفنون البلاغية المساعدة على كشف الظواهر الأسلوبية، وهذا هدف التعليمية، دفع الطالب إلى ممارسة النقد المعاصر الذي يتميز بالعداء للأساليب القديمة وعدم الاعتبار بما هو خارجي في نقد النص، وصب الاهتمام بما يقدمه النص فقط.

– الاعتبار بالذوق الذي يعد المؤشر الحقيقي والفاصل في نقد النصوص وتنميته عند المتعلم وبكثافة من خلال مطالبته بكشف الألوان البلاغية والتعليق عليها وأثرها في معاني النص، وتحفيزه على امتلاك الأدوات الحديثة التي من شأنها تحليل نصوص شعرية كالسياب وادونيس والبياتي ونزار قباني ونصوص نثرية بمختلف أشكالها الرواية، القصة، المسرحية ...

هذه بعض الاقتراحات التي من شأنها تفعيل البلاغة الجديدة للنصوص الجديدة التي لا مفر من ممارساتها في التعليمية التي تروم تمكين الطالب من إنتاج المعاني وتدبيج النصوص الأدبية وهذا ما تطمح إليه التعليمية بشكل أساسي.

هوامش البحث:

[1]-ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005، ج4، ص 158.

[2]- المرجع نفسه، ص 160.

[3]-دزيره سقال، علم البيان بين النظريات والأصول، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص 22.

[4]-ابن الأثير، المثل السائر، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، 1990، ج1، ص 80.

[5]- المرجع نفسه، ص 81.

[6]- المرجع نفسه، ص 82.

[7]-الجاحظ، البيان والتبيين، الشركة اللبنانية للكتاب، 1968، ص 58.

[8]-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، دار المعرفة، بيروت، 1978، ص 35.

[9]-أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1989، ص 16.

[10]-ابن منظور، لسان العرب، ج 6، ص 126.

[11]-المرجع نفسه، ج6، ص131.

[12]- شفيع السيد، البحث البلاغي عند العرب تأصيل وتقييم، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1996، ص13.

[13]-صبحي البستاني، الصورة الشعرية في الكتابة الفنية، دار الفكر اللبناني بيروت، لبنان، ط، 1986، ص 35.

[14]-المرجع نفسه، ص 36.

[15]-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص 38.

[16]-عبد القادر حسي أثر النحاة في البحث البلاغي، دار نهضة مصر، القاهرة، د ت، ص 32.

[17]-محمد زغلول سلام، تاريخ النقد العربي، دار المعرف، مصر، د ت، ج6، ص 15.

[18]-المرجع نفسه، ص 16.

[19]- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص 9.

[20]-إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت لبنان، ط4، 1983، ص 355.

[21]- المرجع نفسه، ص 357.

[22]-السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت،) د.ت، ص 156.

[23]-شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، مصر، ط1، 1980، ص36 .

[24]-عبد القادر حسين، أثر النحاة في الدرس البلاغي، دار نهضة مصر، القاهرة، د ت، ص 12.

[25]- المرجع نفسه، ص135 .

[26]-رجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط2، 1988، ص 25.